النجف

أرض علي (ع) وسيل الثقافات

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابهت أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولاننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضاً أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقاتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض، والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقا إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضاربا عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقتهم أبدا نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقة قولا وفعلا، كي لانتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لايستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديموقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وباسلوبه الجميل في الطرح.

على ضوء القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجب أن نعيد النظر بكل تقليد، أو عرف والذي ربما يكون بعضها مخالفا لروح الشريعة، لكننا يجب أن نميّز بين القضايا التقليدية والأعراف، وبين الفكر والمبدأ، والقرآن الكريم والسيرة المطهرة، وليس العكس، فما يقره الشرع نقبله، وما يرفضه الشرع نرفضه.

.....

مدارس العلم الحديث - المدارس التربوية - تؤكد على أن مكامن قوة الشخصية عند الرجل والمرأة، تبدأ في السنوات الأولى من العمر، والمرأة بالذات كأمّ، تلعب دوراً كبيراً في غرس القيم والمبادئ الخيّرة، والقيم الصحيحة في نفسية الطفل.

.....

المطلوب من المرأة أن تؤدي دورها في المجالات التربوية، وحتى التي وقتها لا يسمح لها بدخول هذا المضمار، يجب أن تصنع سياسيين وسياسيات، وتزرع في نفس ابنها وأخيها مبادىء التربية، وتكون ظهيراً لزوجها.

كلمة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مؤسسة المرأة العراقية في مدينة النجف الاشرف بتاريخ 2009/1/26

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين، سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين..والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)).

الحديث لجمع مبارك مثل هذا الجمع الحافل ببناتنا، يتطلب ذكر أهمية المرأة في مجتمعنا، والدور المعوّل عليها أن تؤديه؛ لإحداث التغيير والإصلاح، والمشاركة الفاعلة في مختلفة البنى الاجتماعية..

ربما كانت المرأة في مجتمعات العالم، تعاني كثيراً من أزمة فكر، تخوّلها لأن تسهم في بناء المجتمع، إلا أننا عندما ننطلق من كتاب الله العزيز (القرآن الكريم)، نجد الآية القرآنية الكريمة صريحة، في أن المسؤولية تقع على عاتق الرجال والنساء على حد سواء:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)).

هذا النوع من التكليف شرّف الله (تبارك وتعالى) به عباده رجالاً ونساءً، وجعل المرأة إلى جانب الرجل تفكر بشكل مسؤول، وتندفع في كل ميدان من الميادين؛ لتمارس دورها في بناء المجتمع سواء كانت المرأة بنتاً، أو زوجة، أو أمّاً أو أختاً أو كانت عاملة في أي حقل من الحقول الاجتماعية إلى جانب الرجل..

والأمثلة كثيرة على النساء اللاتي مارسن دورهن على ضوء القرآن الكريم، والسنة المطهرة في بناء المجتمع، وإحداث الكثير من التغيير، وهذا الدور عادة لا يمكن تفكيكه سواء كان في داخل الأسرة أو خارجها، والمرأة الواعية، والمثقفة لا تجد تناقضاً في أن تأخذ دورها في عملية البناء. المرأة الصالحة، لا تجد تناقضاً في أداء تلك الواجبات، لأنها تنطلق في كل شأن من الفكر، متفقهة لا تنطلق من عقدة، أو تقليد، أو عاطفة مجردة، بل تفكر جيداً، وتؤدي دورها بشكل صحيح، وبنت نبي الله (شعيب) أنموذج قرآني واضح، كانت بنتاً شابة تتحدث مع أبيها النبي، وتقدم له رأيها بكل صراحة، وأدب:

((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)).

لم تتردد، ولم تقل: إن هذا أبي كيف أكلمه بهذه الطريقة أو انه نبي، لم تقل ذلك، بل قالت شيئاً شهدته في موسى (عليه السلام)؛ فشهدت على موسى وفق معايير التقييم.. هذا كلام بنت شعيب لنبي الله شعيب (على نبينا وآله وعليه السلام):

((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)).

لم تجد في ذلك خلافاً لاحترام الأبوّة، وكذلك الحال بالنسبة لأنموذجنا الرائع، وهو سيدة نساء العالمين الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)؛ لأنها جزء من السنة المطهرة، ولأنها معصومة، فعلى المرأة أن تتمثل صورة الزهراء في كل ما قالت، وما عملت، وما أقرّت، بل قد تتعدى المرأة ذلك، وتكون قدوة للنساء والرجال، فالقرآن الكريم يذكر (آسيا بنت مزاحم)، التي كانت سيدة نساء عصرها، بأنها كانت أنموذجاً للنساء والرجال:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)).

(آسية بنت مزاحم)، أصبحت أنموذجاً وقدوة للنساء والرجال الذين آمنوا؛ لأنها برزت في ميدان المواجهة لزوجها (فرعون)، بكل جبروته، وظلمه، ووحشيته، في الوقت نفسه تبرأت من القصر بكل ما حفل به من إغراءات الدنيا وعوامل الرفاه؛ فأصبحت أنموذجاً، وهذه النماذج القرآنية تذكر، لأجل أن تنطلق بناتنا من تلكم المبادئ، حتى يكُنّ أنموذجاً للبقية.

على ضوء القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجب أن نعيد النظر بكل تقليد، أو عرف والذي ربما يكون بعضها مخالفا لروح الشريعة، لكننا يجب أن نميّز بين القضايا التقليدية والأعراف، وبين الفكر والمبدأ، والقرآن الكريم والسيرة المطهرة، وليس العكس، فما يقره الشرع نقبله، وما يرفضه الشرع نرفضه.

نحن اليوم في اجواء محرم الحرام، وأجواء الطف، وهذه مدرسة مبدئية كبرى، خرّجت لنا نماذج تصلح أن تكون كل واحدة في مجالها قدوة، زينب (عليها السلام) بطلة كربلاء تركت زوجها في المدينة، وجاءت مع أبنائها، ووقفت مع الحسين (عليه السلام)، وخاطبت يزيد، وخاطبت الشام، وخلدت الثورة الحسينية، ولو لم تكن (عليها السلام)، حاضرة لانطمر الكثير ممن حمل لنا هذه الملحمة الحسينية، والذي خلدها في التاريخ هو زينب (عليها السلام)، إضافة إلى دورها الرائع في عبادتها، وخطابها، وجرأتها، وصمودها.

مادمنا في الطف الحسيني وتجربته، لابد لنا من أن نذكر السيدة (دلهم بنت عمر)، زوجة (زهير بن القين)، الذي ما كان له أن يكون حسينياً، لو لم تكن زوجته (دلهم بنت عمر)، أخذت بيده، ووضعته في الاتجاه الحسيني، عندما خاطبه الحسين (عليه السلام)، في البداية لم يستجب، لكن زوجته (دلهم بنت عمر)، لامته بطريقة لطيفة، وقالت له: يا زهير.. إن ابن بنت رسول الله يدعوك، لو استجبت له، وذهبت إليه، واستمعت له، وانصرفت.

لقد وضعته على طريق، وانعطف هذا الطريق به، فعاد حسينياً، ولم تحدثنا الروايات بأن هذه المرأة كانت في حالة توتر أو نشوز، بينها وبين زوجها، بل لمكانتها لديه أخذ برأيها بسرعة، إذن المرأة القوية توفق بين طاعة الزوج، وبر الوالدين والحنان على الأولاد، في الوقت نفسه لا تتخلى عن شخصيتها، إنما القوة في شخصية المرأة، أن تعطي كل واحد حقه كما ينبغي أن تعطيه.

هكذا توالت مواقف النساء، وتعلمون جيداً، مدارس العلم الحديث - المدارس التربوية - تؤكد على أن مكامن قوة الشخصية عند الرجل والمرأة، تبدأ في السنوات الأولى من العمر، والمرأة بالذات كأمّ، تلعب دوراً كبيراً في غرس القيم والمبادئ الخيّرة، والقيم الصحيحة في نفسية الطفل.

المرأة تسهم في صناعة الرجال الأقوياء، كما تصنع الضعفاء الشاذين، فأحياناً نجد رجالاً يمتلكون عُقداً زُرعت في نفوسهم، ولا شعورهم، ويمتلكون نزعات الشر، فنراهم تحوّلوا إلى مجموعة من قطاع الطرق، والقتلة، والمجرمين الذين غمروا السجون، وعندما حكم هؤلاء بطشوا بشعبهم.

في المرحلة التي مرت علينا، كان فيها نماذج من النساء ارتقين إلى مستوى الشهادة، فهذه زينب العصر السيدة (آمنة الصدر بنت الهدى)، التي يُعرف عن ثقافتها، وسيرتها، وموقعها، وشخصيتها، ومواهبها المتعددة الكثير، لم تكن هذه المواهب بمعزل عن الحالة القيمية، والنفسية، والتربوية التي عاشتها إلى جنب اخيها السيد الصدر (أعلى الله مقامه)، لذلك آثرت إلا أن تحول هذه الكلمات، والمواقف إلى تضحية، ونالت شرف الشهادة، كذلك الكثير من بناتنا، (جابرية)، من العمارة، والكثير من النساء تقدمن قرابين للوطن، والحرية.

لا نحتاج في المرحلة الحاضرة، شجاعة المرأة لكي تستشهد أو تُسجَن، بل نريد شجاعة تتجلى في الإسهام ببناء الجيل الجديد.. تأكدوا أن الكثير من الإرهابيين لديهم أمهات زرعن فيهم النعرة الطائفية، وزرعن فيهم قتل الآخر، والانتقام منه، وتوجد نساء بالعكس، يزرعن في اولادهن نزعات الخير، والقيم الصحيحة.

المرأة هي التي تحوّل البيت إلى معمل لإنتاج الرجال والنساء، كما تستطيع المرأة من خلال اختصاصها بناء المؤسسات، وإذا كانت من المهتمات بالشأن السياسي، تمارس دورها تماماً، كما يمارس الرجل دوره، وتمارس العملية السياسية، وتفكر بعقل متحرر، وتنظر إلى كل شيء من حولها من خلال المبادئ.. تنظر إلى أبيها وهو سر وجودها التكويني من خلال المبادئ، وإذا كانت المبادئ تؤشر على وجود خطأ تبرّ والديها، وتحترم أباها، وتلتزم بقول الله (تبارك وتعالى):

((وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)).

مأأعظم المرأة المبدئية التي تنظر إلى كل شيء من حولها على اساس الفكرة والمبدأ، هذا قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

(اعرف الحق تعرف أهله).

تعرف الحق مع من؟ فربما تتسبب هي من داخل البيت بهداية زوجها.. بهداية ابنها.. بترشيد أمها وأبيها، حين تتحدث معهم، وهي تتأسى بابنة شعيب.. تتأسى بدلهم، عندما تتحدث مع زوجها، وتتأسى طبعاً بسيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء (عليها السلام).

عملية الانتخابات القادمة تتطلب وعياً (انتخابات مجالس المحافظات)، فهي ليست قضية عاطفية، فمن لديها وعي، وقراءة للواقع العراقي، فلتنظر من خلال السنوات البسيطة الماضية، ما الذي حصل، ما الخطأ، وأين الصواب؟.

هناك مناهج.. هناك خطابات معينة.. هناك أفكار معينة، وهناك رجال ونساء أيضاً كانوا مقصّرين، وهناك أيضاً مناهج صحيحة، ونساء ورجال أدّوا دورهم بأحسن ما يكون، فلتعطِ المرأة شهادتها بموضوعية، وليس المطلوب منها أن تبرّ أباها، وتطيع زوجها بمعنى أن تموت بإرادتها.. القرآن الكريم لا يقر ذلك:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)).

والنبي الاعظم يؤكد ذلك:

(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته).

فلا نجعل المسار العاطفي، هو المسار الوحيد، بل نضع مساراً عاطفياً إلى جانب المسار الفكري، والمسار السلوكي، والمسار الشخصي، ونتبادل الآراء، ونتحدث، ونتحاور، ولا نختنق بالرأي الآخر.. والحمد لله، الآن يوجد تطور واضح في الأسر والعوائل، واليوم فسُحِ المجال للمرأة، وإن لم يكن بالحجم المطلوب.

لماذا المرأة تشكل أكثر من نصف المجتمع في الشارع، والمشاكل، والمعاناة، وليست نصف المجتمع في الحقوق، والمسؤوليات، والمدارس، والمواقع والبرلمانات؟! على الرغم من أن المرأة أثبتت كفاءتها... عليها أن تزيد من وعيها؛ حتى يزيد حجم مشاركتها في الاختصاصات المختلفة، وعليها أن تتسلح بالعلم، وبالقيم، والمبادئ، وتوفّق بين الحالة الزوجية، والحياة العامة.. بين الداخل المنزلي، والخارج المنزلي.

المرأة الواعية من أمثالكن، هي التي لاتتخذ من الثقافة سيفاً على رقبة الزوج، أو حالة استعلائية على أهلها، أو على إخوتها، بل كلما زاد علمها، وثقافتها انعكس ذلك على أولادها، ومن المؤكد أن المرأة المتعلمة تجيد فن التربية أكثر من غير

المتعلمة، والزوجة المتعلمة والمثقفة تجيد فن التعامل مع زوجها، بلغة المفاهيم وليس بلغة الانفعالات.. هذه قيمة حقيقية، وفي العملية السياسية، نحن بأمسّ الحاجة لأن نخوض الانتخابات القادمة من موقع الوعي.

من غير المعقول أن تنزل قائمة للترشيح، والمرأة لم تسأل نفسها عن المرشح الذي ستضع الأمانة بيده، وهل هو بمستوى الأمانة أم لا؟ وهل هو كفوء أم غير كفوء؟.

أذكركم بالأمانة، شاركوا في العملية الانتخابية؛ لأن هناك غرفاً مظلمة لديها شعارات مزدوجة، بالعلن يتكلمون بالانتخابات، وفي الخفاء يضعون حاجزاً أمام الناس، ويشيعون ثقافة اليأس، لكي لا يذهب الناس إلى الانتخابات، بحجة أن الناس لم يجنوا شيئاً من الانتخابات السابقة، فما الذي سيحصلون عليه من الانتخابات القادمة. قولوا لهؤلاء: إننا حينما انتخبنا فقد انتخبنا الله (تبارك وتعالى)، وهو الذي يعطينا على قدر نوايانا، فمن أثبت جدارة بالتجربة نصوّت له، وأما من لم يثبت جدارة فلا يعني أن نقاطع الانتخابات، بل نذهب لنشارك أكثر من المرة الأولى، فقد أصبحت لدينا تجربة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

(العقل عقلان عقل الطبع، وعقل التجربة).

فهناك عقل بالتكوين وهناك عقل بالممارسة، والتجربة عقل ثان، فمن ننتخب نسلمه البلد، فلايعقل أن نعاني أربع سنوات، ونلعن الفساد، ونحن نصوّت للفاسد.

يجب على المرأة أن تثقف، وتوّعي الناس باتجاه انتخاب الأكفأ، فلا نكونن مثل بني إسرائيل حين خاطبهم الباري (تعالى شأنه):

((أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)).

من غير الصحيح أن لا نصوّت للكفوء، ونصوّت لمن هو أقل كفاءة!.. هذا غير معقول، وكما نحن حريصون على أبنائنا، علينا ان نحرص على وطننا ومدينتنا.

في الأيام القليلة المقبلة، سنرهن المدينة لأربع سنوات، نرهنها كجزء من الحالة العراقية العامة في إطار يسير بالاتجاه الصحيح، أو الاتجاه الخطأ، فيجب أن نسهم، ونشهد الله (تبارك وتعالى) على ما نقوله، عندما نضع قصاصة الورق، نعتبرها طقساً عبادياً نتقرب به إلى الله؛ حتى نعالج مشاكل الفقراء، والمرضى، ونحدث الإعمار.

من غير الصحيح أن مدينة كمدينة النجف الأشرف، حيث مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ببُعدها الأثري والسياحي، ووادييها المقدس، والحوزة العلمية،

والمرجعيات، والمدارس والكفاءات المختلفة، والشعراء، والمفسرون الذين انطلقوا من هذه المدينة، من الظلم أن تبقى بهذا الحال، بل نريد لها أكثر، وكذا بقية المدن، ونحن عندما نعتز بمدينتنا لا يعني أن لدينا عقدة مناطقية.

هذا هو المنطق القرآني الكريم:

((خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).

لذلك المأمول منكم هو المشاركة القوية، وحث الناس، فالمشاركة الضعيفة تعني مهادنة الضعيف، وإبقاء الفساد على ما هو عليه، ولتكن الانتخابات فرصة لإزالة الفساد، وإيصال الخيرين إلى مراكز المسؤولية، إذن أصل المشاركة أولاً لابد منه، وثانياً، أن تكون المشاركة واعية، وللعنصر الأمين، والكفوء، الذي يُحدث فرقاً، ويستأصل الفقر الذي انتشر الآن في المناطق، والأزقة فمستوى البيوت جميعها مستوى بسيط، أما في خارج النجف، في القرى والأرياف، فمناطق بائسة، تذكرت عندما كنت أعمل هنا في الكوفة عام 1975، قبل أربع وثلاثين سنة بصفة طبيب مقيم، هذه المناطق التي لاتزال تعيش في فقر، والبلد غني بالنفط، وبثروة سياحية طائلة، لذلك يجب أن تشتركوا بعملية الانتخابات من موقع الوعي، والكفاءة، والحيادية العالية.

تيار الإصلاح، ركّز على المرشحين، والمرشحات من أصحاب الأمانة، والكفاءة، والذين يعيشون مآسي الفقراء؛ ليقدموا خدمة لبلدهم، وراعى هذه الخصوصيات قدر الإمكان، ولذلك أخذت منهم عهود شرعية غليضة بأن يفوا بهذه الالتزامات وهم أهل لذلك، لأنهم عاهدوا الله (تبارك وتعالى)، على العمل من أجل الفقراء، ومكافحة الفساد، بكل أنواعه، واحترام القانون والدستور، وحفظ وحدة الشعب، وعدم التفريق بين المواطنين.

لقد تعلمنا من العالم، أنه عندما تكون فصول انتخابية، تحدث منافسة، وفقط عندما يتم اختيار رئيس جمهورية، يخاطب كل بلده، ويؤدي دوره لكل الناس، الناس عندما يعملون، يضعون مصلحة البلد كله امامهم، يمكن أن تشارك المرأة، بطريقة فعّالة جداً، والحمد لله لو قارنا مشاركة المرأة العراقية، مع بقية دول العالم، فلست مغالياً اذا قلت: إن مشاركة المراة العراقية، أرقى من كثير من بلدان أوروبا.

المطلوب من المرأة أن تؤدي دورها في المجالات التربوية، وحتى التي وقتها لا يسمح لها بدخول هذا المضمار، يجب أن تصنع سياسيين وسياسيات، وتزرع في نفس ابنها وأخيها مبادىء التربية، وتكون ظهيراً لزوجها.

الموسم الانتخابي -إن شاء الله تعالى- قادم، وهذه المدينة افرزت مظهراً نسوياً ممتازاًعلى مسرحها، وكانت في المقدمة العَلَوية آمنة الصدر (رضوان الله تعالى عليها)، وهذا موقف مشرّف يجب أن نستحضره دائماً؛ حتى لا تترددن، وتواصلن هذا الدور بكل شجاعة، شكراً جزيلاً.

المرجعية الدينية، التي لم تكتفِ بالوقوف عند حدود العطاء العلمي، بل قرنت العلم بالعمل، والعمل بالجهاد، والجهاد بالتضحية، وبالتضحية بلغت ذروتها بالشهادة، فكان الصدر مرجعاً شهيداً، وهكذا تكون المرجعية دائماً مع الفقراء، والمحتاجين.

.....

الشعائر الحسينية انما تتمظهر على شكل دموع، وهذه الدموع تنطوي في ثناياها على وعي اهداف الحسين، على عظمة الحسين، على تضحية الحسين، أبي المعصومين، ابن المعصوم، وابن المعصومة، وأخي المعصوم، الذي تجمعت فيه هذه الصفات، وخرّ صريعاً بعظمته من أجل طلب الإصلاح، الدموع التي تنبجس من عيون المحبين، ليست دموع خوف وخنوع وانهزام، إنما هي دموع الثورة على الفساد، على كل مظاهره..

.....

لا تعني الهزيمة أن تترك موقعاً ما، بل الهزيمة أن لا تتمسك بأهدافك، وبطموحات شعبك، وأن لا تمضي بالطريق الذي يؤدي حقوق أبناء شعبنا، من الظلم أن يعيش العراقي فقيراً، وهو ينتمي الى أغنى بلد بثرواته المتعددة، لو ان كل ثروة من ثروات بلدنا توافرت لأي بلد من بلدان العالم لأصبح بمصاف الدول المتقدمة، فكيف بنا وقد تجمعت كل هذه الثروات في بلدنا.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الحعفري في ملعب الكوفة بتاريخ 2009/1/26

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين، سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)).

هذه هي صورة الحق والباطل في القرآن الكريم، الزبد هو النفاق والادعاءات الفارغة، الوعود غير الوفية، التي قد تأخذ حجماً ظاهرياً، وقد تأخذ لوناً براقاً، لكنها سرعان ما تنتهي مع أول صدمة؛ لأنها لا تمثل الحقيقة:

((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء)).

وأما الحق الذي يكتنز منافع الناس، وينبع من وجدانهم، ويعمل من أجل راحتهم، وما ينفع الناس فيمكث في الأرض، هذه هي الصورة القرآنية الرائعة التي ترسمها لنا في عصر التحولات.. في عصر التسابق.. في عصر التزييف.. في عصر الانبهار بالشعارات العريضة الجوفاء، والصور التي لا تنبض بالحسّ الإنساني، ولا تتألم لألم المحرومين، ولا تفكر في ماذا تقدم للفقراء والمستضعفين. هذه هي صورة القرآن الكريم لهؤلاء الذين يحملون لواء الحق، والذين ينضوون تحت لواء الحق، ونحن نخاطبكم هنا، بين العلويتين - علوية الكوفة، وعلوية النجف- علوية الكوفة لأنها عاصمة علي.. عاصمة العدل، والقضاء والإنسانية، والحب والرحمة، والسلم، والطمأنينة يوم حكم علي، وعلوية النجف، التي امتدت إلى عنان السماء شامخة؛ لأنها اقترنت باسم علي، واحتضنت مرقد علي، وأبت إلا أن تقدم نتاجاً علوياً على مر الزمن، فكانت إحدى صفحات العطاء العلوي هو المرجعية الدينية، التي أبت إلا ان تشكل ينبوعاً متدفقاً، وأعطت هنا أصحاب الفكر، وأصحاب العلم والمعرفة من الفقهاء، والمفسرين، والفلاسفة، والأدباء، والشعراء.

المرجعية الدينية، التي لم تكتفِ بالوقوف عند حدود العطاء العلمي، بل قرنت العلم بالعمل، والعمل بالجهاد، والجهاد بالتضحية، وبالتضحية بلغت ذروتها بالشهادة، فكان الصدر مرجعاً شهيداً، وهكذا تكون المرجعية دائماً مع الفقراء، والمحتاجين.
من يريد أن يعرف ما تريد منه المرجعية؟

المرجعية تطالب دائماً بتطبيق العدل، والإحساس بالفقراء والرفق بهم مستوى الخدمات، فمن أراد أن يلبي نداء المرجعية فليفعل ما تريده المرجعية.. ما من أحد

من المسؤولين تشرّف بزيارة مراجعنا عموماً، وسماحة السيد (السيستاني) خاصة، إلا سمع صوت الفقراء يدوّي من داخل بيته، يطالب بحقوق الفقراء، ويناشد بإنعاش الفقراء، ورفع الحيف والظلم عنهم، وعندما نعيش وإياكم في رحاب عاشوراء، وعندما نتأمل معركة الطف، وعندما نستحضر في خواطرنا مسرح المعركة بكامل تفاصيله سنجد أن صوت الحسين لم يزل يدوّي:

(أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

كان منطلقه الإصلاح، وكان هدفه الإصلاح، وكان هتافه على طول الخط هو الإصلاح، وكان قد أحدث تلقيات عميقة في نفوس الذين خاطبهم الحسين (عليهم السلام).. كان مصلحاً.. كان الشعار ينطلق من قلب مُفعَم بالتقوى؛ تجسيداً لقول الله تبارك وتعالى :

((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)).

الشعائر الحسينية انما تتمظهر على شكل دموع، وهذه الدموع تنطوي في ثناياها على وعي اهداف الحسين.. على عظمة الحسين.. على تضحية الحسين، أبي المعصومين، ابن المعصوم، وابن المعصومة، وأخي المعصوم، الذي تجمعت فيه هذه الصفات، وخرّ صريعاً بعظمته من أجل طلب الإصلاح، الدموع التي تنبجس من عيون المحبين، ليست دموع خوف وخنوع وانهزام، إنما هي دموع الثورة على الفساد، على كل مظاهره.

حين نحيي شعائر الحسين، لابد من أن نستحضر أهدافه.. لماذا انطلق، وكيف ودّع الدنيا منتصراً بمبادئه، وماذا تعني مقولته الشريفة :

(مثلي لايبايع مثله).

كان عنوان الصلاح والإصلاح، ولابد من أن ينضوي السائرون على طريقه بذات الطريق، ويتفانوا من أجل نفس الهدف؛ لذا فالشعيرة الحسينية أمانة في أعناقنا، وعلينا أن نستحضر الحسين بكل ابعاده.. بأهدافه.. بأخلاقه.. بتضحياته.. بأنينه لأنين الفقراء.. بعمله من اجل إحياء الأمة، التي تطلبت أن يقدم دمه، فقدم دمه لإصلاح شأن أمتنا بالعمل الدؤوب.

هذه المسيرات المباركة، التي يقطع فيها السائر المناطق من مدينته صوب الحسين، ومدينة الحسين، انما يستغرق هذا الوقت الطويل؛ حتى يأنس بتلك الملحمة الكربلائية، وهو بطول الطريق، يلتفت يمنة ويسرة، ليعيش مع الحسينيين مبادئ

الحسين.. عبادة الحسين.. أخلاق الحسين، حتى يأخذ رصيداً كافياً من كل مبادئ الحسين وهو يشق طريقه الى كربلاء.

هكذا نفهم ثورة الامام الحسين، لذلك دخل الحسين الى قلوب محبيه من دون تفريق بين طبقة وأخرى.. دخل الى قلب الغنيّ والفقير، الى الرجل والمرأة.. الى الكبير والصغير.. الى كل معاشر المسلمين في كل العالم.

اجتاز الحسين سور المذهب، ودخل الى المذاهب الاخرى من المسلمين، واجتاز سور الدين ودخل إلى كل أبناء الديانات، واجتاز سور الديانات ليدخل الإنسان مهما ابتعد وقصى عن الدين.. هكذا كان حجم الحسين، لأنه أبى إلا أن ينطلق، ويجسد الإنسانية كلها في كل خلية من خلايا جسمه بما كان يفكر، وبما كان يعبد، ومع من كان يتعامل.. اليوم نعيش وإياكم فصلاً جديداً، نقبل على عملية انتخابية، ننتظر أن تشكل انعطافة جديدة تأتي بالأكفاء، والأمناء، والمضحين.. لابد من أن ننظر إلى الصفحة القادمة حتى نخطها بيد أمينة.

لابد من أن نستحضر السنوات الأربع المنصرمة، بل السنوات التي نيّفت على الست، ماذا قدم المتصدون؟ بعيداً عن الشعارات والوعود الفارغة، إذا كنا في أول الطريق نستمع الى الوعود؛ لاننا لم نضع بعدُ أحداً على المحك، اليوم محك التجربة، فُرز ما فرز من الذين ارتقوا الى مستوى وعودهم عن الذين تقاعسوا، وانهزموا من الساحة.

لا تعني الهزيمة أن تترك موقعاً ما، بل الهزيمة أن لا تتمسك بأهدافك، وبطموحات شعبك، وأن لا تمضي بالطريق الذي يؤدي حقوق أبناء شعبنا، من الظلم أن يعيش العراقي فقيراً، وهو ينتمي الى أغنى بلد بثرواته المتعددة، لو ان كل ثروة من ثروات بلدنا توافرت لأي بلد من بلدان العالم لأصبح بمصاف الدول المتقدمة، فكيف بنا وقد تجمعت كل هذه الثروات في بلدنا.

نحن ننظر الى الأيادي الامينة، والضمائر الحية، الى الذين يخططون لإغناء البلد، ويرتقون بمستوى الخدمات، ويتجاوزون الحالة المأساوية التي قضّت مضاجع الآمنين من ابناء شعبنا.. ننتظر أولئك الأفذاذ من النساء والرجال، الذين نذروا انفسهم من اجل شعبهم، بنوا، وحسموا موقفهم من اجل خدمة شعبهم.. من اجل بناء البلد.. من اجل اشاعة العدل والمساواة، والكف عن هذه المهازل... نسمع صوتاً هنا وصوتاً هناك من بعض المنابر، تتنكر عملياً للقيم، وتسرق المواقع والصلاحيات، وتوظّف من الإمكانات والاموال ما توظّف في غير نفع البلد.

من ينتخب يشعل شمعة، ان لم يشعل اكثر من شمعة من اجل أضاءة الطريق بكل شجاعة.. لقد أعطى ابناء العراق شهداءهم من اجل تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة، وهذا الشعب سيحافظ على ديمومة هذه الثمرة، لانه شجاع.. لابد لابنائنا وبناتنا الذين يتقدمون اليوم لموسم الانتخابات، أن يضعوا في حسابهم انهم لا يمكن ان يصلوا الى الفوز، وبالتالي عضوية مجالس المحافظات ما لم يحضوا بتصويت ابناء مدينتهم، وهذا يعني انهم اؤتمنوا على ان يعبّروا عن رأي ابناء المدينة، لا لهذا التكتل او ذلك التكتل.. المدينة للجميع، ويرفل الجميع بخيراتها، ويأخذ الجميع حقوقهم، ويؤدون واجباتهم وفق القانون.. القانون الذي يبسط، وينفذ على الجميع على حد سواء، من دون تمييز بين مواطن وآخر.

نريد عدّاداً يتحرك، ويحدث فرقاً نوعياً محسوساً في الخدمات، ولا نريد سنوات اربعاً تمضي، والخدمات على ما هي عليه، والأمن على ما هو عليه، وكذلك بقية المرافق من دون شك، ان اهدافاً كبيرة كهذه، وطموحات عريضة كهذه، لا يمكن ان ينهض بها الا الكبار من اصحاب العزيمة، المخلصون الجادون، الذين يضحون من اجل الآخرين، هؤلاء فقط هم القادرون على حمل الامانة.

لذلك، فليهيئ نفسه من يقع اختيار شعبه عليه.....عليه ان يعدّ العدة، ويوصل الليل بالنهار من اجل خدمة شعبه، وان يطرح برامجه، ويحدث فرقاً في هذا الخلل الذي انتشر، واصبح ظاهرة في المؤسسات.

هناك تخلف في مستوى التربية والمدارس، وتخلف في الوسط الصحي، وتخلف بمستوى المياه، وتفشي الكثير من ظواهر الفساد المالي، والاداري، والاخلاقي والسياسي، هذه المهازل.... في بلد له مثل تاريخنا، وله مثل ثرواتنا، من الظلم أن نتقبل هذه الحالة.

أملي معقود على المرشحين والمرشحات من ابنائي وبناتي، بأن يعوا مسؤوليتهم من الان، ويضعوا جداول عملهم، ويحدثوا فروقاً حقيقية في حمل الامانة بكل حقل من الحقول، وبكل مرفق من المرافق، وأن ينظروا الى الفقراء على انهم المادة الأساسية في مجتمعنا.

إن غالبية ابناء شعبنا، وللأسف الشديد لم يزالوا دون مستوى الفقر، وهذه حالة تقضّ مضاجعنا، ونبكي عليهم ألماً، وتتقطع بسببها نياط قلوبنا، هؤلاء يعيشون حالة الفقر والثروات تُبدّد بطريقة او بأخرى.. لابد من أن نمد يدنا لكل الخيرين، والخيرات من اجل معالجة هذه الحالة الشاذة الاستثنائية، التي انتشرت في صفوف مدننا..

عليهم ان يدركوا عندما يدخلون مجالس المحافظات أنها ليست غنيمة، إنما هي مسؤولية لابد أن يتعاونوا مع الآخرين فيها من اجل خير المدينة.

إن ذلك ليس بمعزل عن عموم العراق، فقوة المحافظة من قوة العراق، وقوة العراق من قوة المحافظة، ولا قوة للعراق من دون قوة المحافظات.. لابد من أن نطبّق الدستور الذي صوّتنا عليه، لذا أصبح قانون مجالس المحافظات ذا صفة شرعية.. ولابد ان يُطبّق.. لابد أن تتمتع المحافظات بميزانياتها، وصلاحياتها بشرط أن يتحكم بها القانون والدستور فعلاً، وليس قولاً، وأن تتحول تلك الثروات الى حالة من النمو والتنمية في كل مرفق، من المرافق من دون استثناء.

هذا ما ينتظره شعبنا، بعد ذلك سنطبع قبلاتنا على جبين الفائزين، ونعتقد أنهم سيقدمون خيرة ما يمكن ان يقدموا لشعبنا، الا وهو النهوض بوضعهم الخدمي، والأمني، والاقتصادي، في مجالات الاعمار والبناء.

لقد رُوعي في اختيار المشرحين عن تيار الإصلاح الوطني تحرّي هذه العناصر المهمة، والتي تدخل في صميم عمل عضو مجلس المحافظة، وهي الأمانة، والكفاءة والتجربة، والعمل الدؤوب، والاستعداد لتطبيق القانون والدستور، والاستعداد للعمل الجماعي مع الآخرين، وأن يأخذ قراره سوية مع اخوانه، واخواته في مجلس المحافظة، دون أن يقف عند حدود قناعاته، وأن يحترم المواطنين كلهم من دون تمييز.

لابد أن نتفانى من اجل كل المواطنين.. لابد أن نختزل زمن الصعود نحو التنمية والإعمار، لقد رُوعي في اختيار مرشحي الاصلاح الوطني هذه المواصفات.

نتمنى لهم ولإخوانهم من كل القوائم، من دون تمييز، أن يجمعهم مجال المحافظات التي يعلو فيها صوت الوطن، ويعلو فيها صوت المدينة، وصوت المصلحة العامة، وأن ينذر كل واحد منهم نفسه، وكل ما يتمكن من اجل خير البلد.

الفائزون تنتظرهم مسؤوليات كبيرة؛ لينهضوا بها، ويجعلوا العراق بمستوى يليق به بسبب الثروات التي حباه الله (سبحانه وتعالى)، عنده... دعواتي لهم جميعا، وتمنياتي لهم بالموفقية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في كل مجال كتب فيه السيد الصدر، كان متميزاً، وكان بارعاً، ومثلما كان قمة في العلم تفتقت به قابليته، كان قمة في العمل، لم يكتب من وحي الفصل بين العلم والعمل، بل كان دؤوباً عاملاً فتح قلبه، وبيته وعقله، وكان يلتقي أبناء الأمة، ويلتقي الشباب في ذلك الظرف الصعب فيحاورهم، ويستمع إليهم، ويوجههم من دون أن يضيق بأحد.

.....

العلوية بنت الهدى (قدس الله نفسها الزكية)، أولت أهمية كبرى للمجال التربوي، وخرّجت عدداً كبيراً من المؤمنات في مجال التربية، فقد عاشت بينهن، وأثرت فيهن، ومزجت بين العلم والأدب والرواية، والشعر أيضاً، وكانت تتواصل معهن، وتتفقد النساء، وأبت إلا أن تكون إلى جانب أخيها مجاهدة تشدّ على عضده، حتى انتهى المطاف إلى الشرف السامق، والنهاية المرموقة التي يتمناها كل الصالحين.

.....

طبيعة المجتمعات في المدن المقدسة، عادة ما تكون مجتمعات متعددة التكوين، وليست أحادية التكوين، تعوّد النجفيون كما تعود الكربلائيون، والكاظميون أن يروا الآخر يتجوّل في الطرقات، وفي الأسواق، اعتادوا عليه، هذا إيراني، وهذا باكستاني، وهذا من البحرين والإمارات، اعتادوا ذلك، لذلك لديهم ثقافة، ولديهم سعة بالتعامل.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مؤسسة الصدر في مدينة النجف الاشرف بتاريخ 2009/1/27

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتخبين، وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:

((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)).

إن حديثاً يريد لنفسه أن ينصب لتناول شخصية بحجم السيد الشهيد (محمد باقر الصدر)، لابد أن يراعي في خصوصياته، خصوصية هذا العملاق، الذي أبى إلا أن يتميز في جملة أمور ربما تكون من الصعب أن تجتمع في شخصية كما اجتمعت فيه.

عندما نتحدث عن العلم والعلماء، متلقين من الذكر الحكيم، وما أعدّ الله (تبارك وتعالى) لهم من مكانة، نجد أن الشهيد الصدر كان نجماً ساطعاً في سماء العلم، في وقت كان المسلمون يعيشون أزمة فكرية حقيقية، ألمّت بهم في نهاية الخمسينيات حيث كانت التيارات الفكرية قد التفت في الساحة الإسلامية عموماً، وفي الساحة العراقية خاصة.

في تلك الفترة، لم يكن الفكر الإسلامي قد تحوّل إلى نظرية عمل، ومنظومة معرفية تملأ أذهان الشباب، وتمدهم بالفكر الذي يحول دون أن ينخرطوا في تيارات سياسية مضادة، وكانت الأمة على موعد مع القدر، حتى تلتقي في تلك الفترة بالصدر الأول، ولأن الأزمة كانت قد ضربت الفكر، عقيدة، ونظاماً... لذا راعى الصدر ذلك في تلك الأزمة.

لقد انطلق الصدر بكتاب (فلسفتنا)، ليتناول شؤون العقيدة باعتبار أن الفلسفة هي القاعدة الأساسية لبناء الفرد والمجتمع، ثم تناول الكتاب الثاني من ثالوثه، الا وهو (اقتصادنا)، ليتناول البنى الاقتصادية الفوقية، التي تقوم على تلك القاعدة العقيدية، وكان يزمع وينوي أن يكتب ثالث هذه المفردات وهو (مجتمعنا)، لولا ماحصل.

وليس خفياً على أحد، أنه اختار منذ البداية كلمتي (فلسفتنا، واقتصادنا) ولم يقل الفلسفة الإسلامية، ولا الاقتصاد الإسلامي، لأنه أراد أن يخاطب النشأ والمثقفين والمفكرين.. أراد أن يخاطب الأمة التي فقدت ثقتها بنفسها بأن في الإسلام فلسفة، وأن في الإسلام اقتصاداً؛ لذلك قال (فلسفتنا، اقتصادنا) خاطبهم من الغلاف.. من العنوان.. من البدء بأن في الإسلام فلسفة، وأن في الإسلام اقتصاداً، وهكذا تفتقت عبقريته؛ فأنجب هذين المؤلفين العظيمين.

على الرغم من مرور قرابة الخمسين عاماً بل يزيد على الخمسين عاماً، لم يكتب أحد في هذا المجال كما كتب الصدر، فضلاً على أنه لم يكتب أحد متجاوزاً الصدر في حقلي الفلسفة والاقتصاد، على مستوى المذهب، على الرغم من أن الظروف تبدلت، والوعي ارتفع، وهناك دول تقيم حواضر الإسلام، وهناك كتب تنتشر،

وتنظم دورات عن عصر العولمة، والعولمة الإسلامية، مع كل هذه الفروق، لا يجرؤ أحد حتى اليوم، ونتمنى أن يكتب أحد.

لم يرتقِ أحد إلى ما كتبه السيد الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، ولم يكتفِ بأنه كتب لإثبات الهوية الإسلامية مدافعاً عن فكر الإسلام؛ فكتب الأسس المنطقية للاستقراء، وحوّل نتاجاته من عملية دفاع عن الإسلام، إلى قرع طبول الفكر الآخر، في المدارس الأخرى ليقول لها: ها هو الإسلام يعود فكراً.

لم يكتفِ الشهيد الصدر بهذه النتاجات المباركة، بل برع في حقول الفكر الأخرى، فكتب في أصول الفقه، وكان صاحب مدرسة أصولية، تميّزت بخصوصياتها من تعريف علم الأصول، إلى نهاية الدليل العقلي، كان متميزاً.. كانت له مدرسة خاصة به، وكذا كتب في التفسير الموضوعي، وكتب في السيرة المطهرة، واقترح نظرية تفسير سيرة الأئمة (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وكيف تعاملوا مع الظروف المختلفة، ووضع نظرية لتفسير تعدد الأدوار التي ميزت أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعكست مبدأ واحداً ومواقف واحدة.

هكذا... في كل مجال كتب فيه السيد الصدر.. كان متميزاً، وكان بارعاً، ومثلما كان قمة في العلم تفتقت به قابليته، كان قمة في العمل.. لم يكتب من وحي الفصل بين العلم والعمل، بل كان دؤوباً عاملاً فتح قلبه، وبيته وعقله، وكان يلتقي أبناء الأمة، ويلتقي الشباب في ذلك الظرف الصعب.. يحاورهم، ويستمع إليهم، ويوجههم من دون أن يضيق بأحد.

هكذا استمر السيد الصدر، من وحي ما تعبّأ ذهنه بذلك الفكر النيّر، فقد قرأ، وعاش في النجف، لكنه لم ينكفئ على النجف، إنما انفتح على الفكر الآخر، قرأ لـ (كارل ماركس)، وقرأ للكثير من الكتاب والمفكرين؛ ليشعرك من خلال كتاباته أنه يعيش النجف، ويتشرف بأنه يعيش النجف، إلا انه كان يمتد بمناقشاته، الى كل أساطين العلم والمعرفة في كل مناطق العالم، كما أنه سبر أغوار التاريخ، وقرأ الأفكار والنظريات الفلسفية بأعماقها المختلفة، وحتى عندما كتب أطارحيه كان محيطاً، وموفقاً.

إن أروع ما يميز منهجية الصدر فيما كتب، هو بحوثه، فقد كانت بحوثاً مقارنة، حين تبدأ رحلتك في قراءة فلسفتنا، واقتصادنا تجد نفسك في بحث مقارن، يقارن لك بين ما هو موجود في الإسلام، وبين ما هو موجود في الرأسمالية والاشتراكية، ومن خلال تلك البصيرة النافذة، استطاع أن يستشرف التاريخ، ويقرأ مسير الأنظمة التي سقطت ولو بعد فترة طويلة، كان يتوقع أن تنتهي الماركسية إلى ما انتهت إليه،

بعد أن ناقشها نقاشاً مستفيضاً على مستوى الفلسفة، والقاعدة العقائدية في فلسفتنا، وعلى مستوى النظام الاشتراكي في اقتصادنا.

كما أنه قرأ أيضاً، وتنبأ عن الرأسمالية بما تعرضت له في نهاية العام الماضي، بعد أن واجهت الأزمة المالية، وكيف أنها بدأت تنتحل، وتنفتح على الاقتصاد الاشتراكي، وهو نقيض للاقتصاد الرأسمالي، كانت قراءته مبكرة، كما أنه كان يقرأ ان الأمة الإسلامية، والبشرية عموماً ستعود مرة أخرى إلى ما كان يسمّيه في بداية نتاجاته تعود إلى السماء، وتتطلع الى السماء، بعد هذه الرحلة التي ابتعدت بها عن القيم.

كما اعتمد الآليات العملية، فأنشأ حركة أسماها (حزب الدعوة الإسلامية)، ووضع لهذا الحزب أسسه ونظرياته، وفصّل في النظرية المرحلية، ومرحلة التغيير بشكل رائع جداً، واعتمد هذه الآلية جماعة العلماء حتى يتحول ذلك الفكر، من حيّز التدريس والمناظرات الفكرية، إلى حيّز التطبيق والعمل.

السيد الشهيد الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، واصل عمله، واتصالاته بالناس من خلال هذه المنظومة المعرفية الرائعة، ولم يتردد في أنه كان دائماً يواكب المستجدات بنظرية يرتبط بها منطلقه الأول، بالمستجدات التي كان يواجهها، فيقدم تفسيراً متكاملاً في كل مظاهر الحياة، ولا معنى للحياة بلا عمل وتضحية، فتعرض إلى ما تعرّض له من مضايقات واعتقال، انتهت إلى اعتقاله الأخير الذي توّجت فيه كلماته بإكليل الدم.

لذلك علينا أن نقرأ السيد الصدر (رضوان الله تعالى عنه)، نقرأه فكراً معمّقاً، ونقرأه عاملاً هادفاً يتفاعل مع شرائح المجتمع، ونقرأه مضحّياً، ونقرأه بطلاً قرر الشهادة، ومن يتابع خطبه، وكلماته يجد بكل صراحة، أنه اتخذ قراراً بالشهادة، وهذا نادراً ما يحصل في التاريخ.

اليوم نحن نعيش ذكرى هذا العملاق، ونواجه الكثير من التحديات، نجد أنه رحل إلى جوار ربه، مخضّباً بدمه بيدَ أن السيد الصدر كفكر، ونظرية معرفية، وخلق كان متميزاً؛ لذا فالانتماء للسيد الصدر لا ينبغي أن يكون انتماءً شخصياً، فكرياً، معرفياً، بل انتماءً أخلاقياً.

السيد الصدر، يمثل حالة تعيشها المرجعية الدينية، لذا يجب أن نتعامل دائماً مع خط المرجعية، ومصاديق المرجعية، من المراجع والعلماء والمجاهدين المضحين، بكل احترام وتقدير، لأنها وقفت دائماً في محطات التحدي لكي تسهم في إرشاد الأمة، وهي تشق طريقها نحو البناء من دون أن تتعثر.

السيد الصدر عاش النجف، وكان يعتز أن يعيش في هذا المكان المبارك الذي أنجب الكثير من أساطير الفكر، وعمالقة الفقه من المفسرين، والأدباء، والشعراء، عدد السنوات الإلف التي ربما مضت منذ ان تأسست الحوزة العلمية، كانت هذه المدينة تشكل عطاء متدفقاً، ومستمراً عبر التاريخ، فقد أنجبت الكثير من المراجع، ربما يكون العدد الأخير من المراجع المعاصرين في القرن العشرين، من هنا كان السيد الحكيم (رحمه الله) والسيد الخوئي (رحمه الله) والسيد الصدر (رحمه الله)، واليوم مراجعنا الكرام العظام، الذين يمارسون دورهم في توجيه، وترشيد مسيرة الشعب العراقي نحو التكامل، وردّ غائلة الانحرافات التي تشكل تحدياً حقيقياً.

رأينا أيضاً في مرحلة ما بعد السقوط، ومرحلة ما قبل السقوط، كيف وقفت المرجعية مضحية، منهم من استشهد كالسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس الله نفسه الزكية)، وكيف خاطب الشرائح الاجتماعية المختلفة، فخاطب المهنيين، وخاطب العشائر والقبائل، واعتلى منبر الجمعة ليشكل تحدياً حقيقياً، وليعيد لها مكانتها التي أعطاها الله (تبارك وتعالى).

أما المرجعيات التي تعرضت الى المضايقة، والاعتقال، والملاحقة، فكان السيد السيستاني (حفظه الله ورعاه)، وهو اليوم يمارس دوره في دعم العملية السياسية، وترشيد حركة الشعب، على النحو الذي لا يترك بسببه في العراق فراغاً لأعدائه، لذلك ركز كثيراً في المحطات الحرجة، على المساهمة في الانتخابات، وعى الدستور، وكذلك انتخابات البرلمان.

في الأزمات.. وقف مراجعنا، وكان السيد السيستاني (حفظه الله) يعبّر عنهم بدقة وأمانة، داعيين الى ضرورة المشاركة، ونزع فتيل الفتنة، التي كان ممكن أن تحرق الأخضر واليابس، كالذي حصل في سامراء، وقبل سامراء في جسر الأئمة.

إذن نحن أمام حالة مستمرة، أمام شيء اسمه المرجعية، والانتماء إلى المرجعية أكبر من الانتماء الى المرجع، المراجع عبر التاريخ كثر، يخضعون الى حقيقة قرآنية:

((إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)).

تغمّد الله من قضى نحبه بالرحمة، وحفظ الباقين منهم.

مفهوم المرجعية، أن الأمة ترجع لهم في موارد الابتلاء حتى تدرك الحقيقة، وتدرك طبيعة المسار الصحيح، والمرجعية ليست لغزاً، المرجعية تريد من السياسيين أن يفوا بالتزاماتهم تجاه الشعب، ويئنوا لأنين الفقراء؛ لأن الفقراء يلوذون بمراجع

المسلمين، ووكلائهم يوصلون أصواتهم بطرق مختلفة، حتى يوصلوها بدورهم إلى المسؤولين، لذلك مراعاة الفقراء والمحرومين، سواء كانوا من عوائل الشهداء، أو عموم الناس الذين اكتووا بنار الفقر بسبب البطالة، ولأي سبب من الأسباب الاستثنائية التي يمر بها البلد، كل هذه تحفزنا لأن ننهض بالبلد بأقرب وقت ممكن.

ومادمنا نتحدث عن السيد الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، فقد كان يئن لأنين الفقراء، ويتأسى بحياتهم، من خلال تردّدي على بيوت مراجع المسلمين، أدركت جيداً أنهم يواسون الفقراء في حياتهم، هذه حقيقة في بيوتهم، في طريقة تعاملهم يواسون الفقراء، ويعيشون مع الفقراء، وهذا شرف لأننا نحتاج الى قراءة متأنية لدراسة سير المراجع، ليس فقط نقرأ نتاجاتهم الأصولية والفقهية، وإنما ينبغي أن نقرأ عن سيرتهم، وأخلاقهم، وطريقة تعاملهم مع الناس، هذا شيء مهم.

لا ينبغي أن نختزل المرجع فقط بنتاجه، على ما للإنتاج من أهمية بالغة، لكن من يغوص، ويتعرف على سيرهم سيجد أيضاً ان هناك ثروة، ربما لم تكن واضحة ومغمورة من الناحية الأخلاقية، وهي ناحية ارتباطهم بالله (تبارك وتعالى)، وحبهم لأبناء الشعب، وهذا شيء بالنسبة لنا مهم جداً.

السيد الصدر، كان أيضاً يتألم لألم الفقراء، وكان يدأب من أجل تحسين حالتهم، وما كان يحب أن يتميز على أحد، وكان يتمتع بخلق رائع من حيث التواضع، على الرغم من صغر سننا في ذلك الوقت، إلا أننا كنا نتردد عليه في منتصف الستينيات، وهناك الكثير من الصور التي تعكس أخلاقية السيد الصدر لاتزال عالقة في ذاكرتي.

لقد كان متواضعاً، وأتذكر جيداً عندما زرته أنا وأحد الإخوة الأطباء، وكنت بعد في السنة الأولى بكلية الطب، كان الأخ الطبيب، وهو أيضاً رحل الى جوار ربه، كان يتفقد السيد الصدر، ويوصيه بالأكل، ويقول له: يجب أن تخفف من أكلك، ويكون أكلك بالخصوصيات الطبية المعروفة، ليقلل من وزنه حتى لا ينعكس على قلبه، لأن السيد كان يتعرض لبعض الوعكات الصحية، فسأله السيد الصدر:

(مثلَ ماذا يجب أن يأكل أحدنا)، فقال: مثلاً كذا أكلة بسيطة، وذكر له أكلات بسيطة، فقال السيد: أكلي مقصور على هذه الانواع(أي: الانواع البسيطة)، ومن شدة تواضعه وهو يمتلك هذه الثروة العلمية الرائعة، أتذكر في إحدى المرات التي زرته فيها أنا وأحد الأخوان الذي كان قد عقد العزم على السفر إلى إحدى دول الجوار، فقال سيدنا: ماذا تريد (أمر، خدمة) سأسافر خارج البلد، السيد (رحمه الله)، سرد له مجموعة عناوين من الكتب، وقال له: (فلان كتاب، فلان كتاب...الخ).

احد هذه الكتب، كان الأخ الذي معي قد قرأه، فقال: سيدنا هذا الكتاب لا أعتقد ان فيه شيئاً جديداً بالنسبة للذي لديك؛ فقال له: قرأته أنت؟ قال: بلى، فالسيد الصدر استمع له بكل احترام، بعد ذلك شكره، وقال: جزاك الله خير الجزاء، وأنا انظر إلى ذلك المشهد أجد رجلاً بحجم السيد الصدر، يستمع الى شخص قرأ كتاباً، هذا درس، أخلاقي عال لي ولغيري.

إن علماءنا كلما زاد علمهم زاد تواضعهم، نتعلم منهم كيف يتعاملون مع الآخرين، هذا درس تربوي، والدرس التربوي أكثر قيمة من الدرس العلمي، الدرس العلمي يعبّر عن فائق علمي، بين المعطي والمتلقي، بيد أن الدرس التربوي، مثلا: أنك تجد عالماً يستمع إلى شخص قرأ كتاباً ولو لدقائق، بالنسبة لي أثّر فيّ هذا التواضع تأثيراً كبيراً.

السيد (رحمه الله)، كان يتفقد، ويتسع قلبه للآخرين أينما كانوا، في ذكرياتي المبكرة ربما عام 1968 او 1969، كنت طالباً في الصف الثاني من كلية الطب، أتذكر أنه أرسل أحد الأشخاص، ليتردد علينا هناك بالبيت ونحن في جامعة الموصل، والمجتمع الموصلي إخواننا أبناء السنة، عندما تصل إلى منطقتنا، تسمع أن هذا البيت يسمونه بيت الشيعة، كان السيد (رحمه الله) يقول: لهذه دلالة، فقد كان يقيم العمل وهو أنه توجد سمعة لهذا البيت.

كنا مجموعة من الشباب في ذلك الوقت، ربما يقترب عددنا من خمسة أو ستة وقد نصل أحياناً الى سبعة، كنا نؤجّر بيتاً كبيراً في احد أحياء الموصل، كان يقيم، ويقدّر، ويتابع ذلك، طبيعي هكذا اثر يتركه السيد الصدر في نفوس محبيه، وأبنائه في كل مكان، بلا شك يترك أثراً بالغاً في نفوسهم.

السيد (رحمه الله)، على الرغم من كثرة انشغالاته، يتسع باهتماماته بهذا الشكل، هذا شيء لا يمكن أن يُنسى أبداً.. قدرته العلمية، وسعة اطلاعه كانت تميزه، فيتحدث في كثير من الأحيان حديثاً مرتجلاً، تسأله سؤالاً مفاجئاً ينساب بالمعلومات، وأذكر مرة زاره مجموعة من الطلاب الجزائريين، جاؤوا إلى النجف من دون موعد، وكان عليهم ان يسافروا الى الجزائر في اليوم التالي.

وصل هؤلاء باب البيت، وكان السيد نائماً (رحمه الله) كان ينام الظهر فترة قصيرة، فقالوا لهم: إن السيد نائم؛ فأرادوا الذهاب، لكن عندما عرفوا أنهم جزائريون، وسيسافرون في اليوم التالي أيقظوه من النوم، فنهض السيد (رحمه الله) من النوم، وتوضأ، فسألهم: من أين، فقالوا له: نحن من الجزائر، فظل يتحدث إليهم حديثاً رائعاً مطوّلاً يربط فيه بين انطلاقة حرب التحرير الجزائرية، حركة (عبد القادر

الجزائري) من 1846 الى المرحلة الحاضرة(أي: مرحلة السيد الصدر)، وكيف قدمت هذه الحركة من تضحيات، فاتخذوا قراراً بتأجيل السفرة، وقالوا: هل نستطيع أن نأتي غداً؛ فقال: أنا علمت أنكم تريدون أن تسافروا، فقالوا: نعم، ولكننا اتخذنا قراراً وأجّلنا السفر لأجل أن نلتقيك مرة أخرى.

صحيح أن السيد كان يسكن في مدينة النجف الأشرف، لكنه لم يكن بمعزل عن العالم، وهذا شيء رائع، الحمد لله أن فقهاءنا من جملة ما يتميزون به هو الثقافة الموسوعية، وأنهم ليسوا بمعزل عن التطورات الفكرية في العالم، وهذا مدعاة للفخر لنا، وعلينا أن نتأسى بهم، وبأخلاقهم كذلك.

لابد لي أن أذكر شيئاً عن العلوية بنت الهدى (قدس الله نفسها الزكية)، هي الأخرى أولت أهمية كبرى للمجال التربوي، وخرّجت عدداً كبيراً من المؤمنات في مجال التربية، وكيف عاشت بينهن، وأثرت فيهن، ومزجت هي الأخرى بين العلم والأدب والرواية، والشعر أيضاً، وكيف كانت تتواصل معهن، وتتفقد النساء، وأبت إلا أن تكون إلى جانب أخيها مجاهدة تشدّ على عضده حتى انتهى المطاف إلى الشرف السامق، والنهاية المرموقة التي يتمناها كل الصالحين.

كل واحدة من مواقف العلوية (بنت الهدى)، كانت تشكل أنموذجاً للاقتداء.. نحن بأمسّ الحاجة لأن نجعل من بناتنا يتأسين بسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)، وفي الوقت نفسه يتواصلن بخطوات معاصرة مروراً بتاريخ زينب (صلوات الله وسلامه عليها)، مروراً بالكثير من النساء الصالحات، حتى المرحلة الأخيرة زينب العصر العلوية بنت الهدى (رضوان الله عنها).

كانت (رحمة الله عليها)، تتفقد، وترعى، وتقصد الفقراء في بيوتهم، وتحمل معها فكراً، وتحمل ثروة فكرية ومعنوية تؤثر في هذا البيت، وفي ذلك، وما انكفأت عن ممارسة دورها المطلوب.

الثروة المعنوية العالية، التي كان يتمتع بها السيد الصدر، إضافة إلى تواضعه لذا كان من يجلس بحضرته (قدس سره)، يشعر أنه أمام إنسان في أقصى درجات التواضع، وذا عاطفة تغمر كل مجالسيه، وكان ذا عبقرية خاصة.

إن الإنسان عادة عندما يقرأ كتاباً ما في اول مراحل حياته، ثم يعود يقرأه مرة ثانية بعد ان تتطور ثقافته، يجد الكتاب اقل مما كان يتصوره، باعتبار أن المتلقي في اول حياته يكون بسيطاً، وعندما يرتقي الى مدارج التكامل في الثقافة يكون أعلى ثقافة، فيأتي للكتاب ليقرأه فيتصوره اقل، إلا كتب السيد الصدر، عندما يقرأه الانسان اول

حياته، ويدرسه وينكفئ عليه، ثم يقرأه في مراحل لاحقة متأخرة، يجد أعماقاً جديدة ما كان يستوعبها في تلك المرحلة، وبدأ الآن يستوعبها.

الانسان عند قراءته كتب السيد الصدر يحتاج الى عمق، والى وعي؛ حتى يستطيع أن يسبر غور العبارات التي يصوغها السيد الصدر، فقد كان يجمع بين الأدب والفكر وعمق الاستنتاج، ولا توجد ثمة فجوة بين أسلوبه عندما يكتب، وأسلوبه عندما يتحدث، ويتحدث بنفس القوة التي يكتب فيها، وهذه الموهبة، نادراً ما تكون عند المفكرين الآخرين.

إخواني السيد الصدر (رحمة الله عليه) عاش العراق بكل معاناته، وكان العراق حاضراً في وجدانه، منذ أن أطلق خطاباته المتعددة، أطلق خطابات كان يخاطب فيها العراقيين كلهم، من دون تمييز، مرجعيته في النجف تتحدث بهذه اللغة:

(أنا معك يا أخي ويا ولدي السني وأنا معك يا أخي وولدي الشيعي، بمقدار ما أنتما مع الإسلام).

خطاباته هذه تنمّ عن قيادية رائعة، وسعة في افقه، منذ ذلك الوقت، كان السيد الصدر (رحمة الله عليه)، يُرسي قواعد الدولة التي تقوم على مجتمع موحد، ما تعريف الدولة؟ ما هي الدولة؟ الدولة مجتمع يقوم على قاعدة المجتمع، نظام، دستور، برلمان، وسلطة، هذه هي الدولة، فإذا تهشّم المجتمع تنتهي الدولة.

النجف..... خرّجت هؤلاء العباقرة، ونصيحتي لكل مثقف في مجلسكم المبارك: إن المثقف يجد في الإسلام، وفي القرآن الكريم سعة وقيمة لا يجدها فيهما الآخرون، فالإسلام لا يعاني من مشكلة أصحاب العلم، بالعكس مشكلة الإسلام مع الجهال، وكلما زادت القدرة العلمية لكل شخص، فسيحتل موقعاً أرقى:

((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)).

((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)).

فكر الشهيد الصدر أسهم في بناء المجتمع بفلسفته، واقتصاده وما كان يزمع كتابة مجتمعنا، ثم الإسلام يقود الحياة، في بواكير الفكر الاجتماعي، ثم وشّحه بإكليل العمل، واستحداث الآليات التي تتولى التغيير الاجتماعي، ومن أروع ما نجده عنده ان صورة الدولة كانت حاضرة عنده، كيف نكون الدولة، وكيف ننشئ مجتمعاً.

المرحلة التي نعيش فيها اليوم أمانة في أعناقنا، لا يدّعي أحد أن هذه الدولة دولة إسلامية، الدولة فيها إسلاميون، نعم تحترم الإسلام بناءً على الدستور، وما ثبّته

الدستور، وصوّت عليه الشعب، لكن لا يدعي أحد أن هذه الدولة إسلامية، وأن دستورها دستور إسلامي، لا أحد يدعي هذا.

الإسلام، لا يعني أن تطبّق الإسلام مائة في المائة، أو أن تضاد وتحارب الإسلام، ليس الأمر كذلك.. إن قيم الإسلام، قيم تتسع للإنسانية كلها، والإسلام دائماً يخاطب الآخر، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب الآخر، وأئمة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) يخاطبون الآخر، ما الذي جعل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ونحن في مدينة علي، علي المرقد، والكوفة عاصمة الدولة الإسلامية، ما الذي يجعل (جورج جرداق)، في القرن العشرين يكتب ما كتبه بحق علي؛ لأن علياً (عليه السلام) خاطب الآخر، ما الذي يجعل على سبيل المثال، كتاب علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مالك الاشتر، تكتبه الأمم المتحدة باللغة الإنكليزية 160صفحة، ترجموا كتاب (علي) إلى (مالك الاشتر)، عام 2002 ووجّهوا نسخة باللغة الإنكليزية لقادة الشرق الأوسط، ليقولوا: هكذا ينبغي أن تتعاملوا مع ولاتكم ومع الرعية، على ضوء ما كتبه خليفتكم الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر.

هذا شيء رائع، ويجب ان نقرأ ثقافتنا بثقة، وبنفس الوقت الأصالة، والمبدئية بما لا يتنافى مع التجديد، والانفتاح، وهذا ما ميّز فكر السيد الصدر (رحمة الله عليه)، بأنه منفتح يواكب الزمن بل يسابق الزمن، وتجد أيضاً هذه التوجهات موجودة لدى مراجعنا.. نحن الان في مسؤولية سياسية قادمة، ونريد لهذا المجتمع العدالة الحقيقية من خلال المنهج الصحيح، والمسؤولين، والمتصدين بشكل صحيح، ومن خلال إعادة صياغة بعض العادات، والتقاليد على ضوء منظومتنا الفكرية.

من حق الإنسان أن يعتز بمدينته، وعشيرته، وقوميته، وهذا شرف له، بشرط أن لا يجعل من الانتماء القومي، او القبلي، او المناطقي بديلاً عن المبدأ، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان يفخر بالعربية:

(أنا ليث العرب، وليث العرب مني).

وكان يفخر بقبيلة قريش، وبأرض مكة، أم القرى.. لا يستطيع الإنسان أن يدخل الى مكة من دون ان يكون محرماً، (فيزا معنوية) ولا يجوز لغير المسلم أن يطأ بقدميه ارض الحرم، والتي هي أوسع من مكة، لكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يستبدل هذه الانتماءات بقيمه ومبادئه، بدليل أنه (صلى الله عليه وآله)، أقصى القريب القبلي وأبعده، وموقفه من (أبي لهب) و (أبي جهل)، وهما من قبيلته

واضح، وخير دليل، حيث ابعدهما وقرب (سلمان الفارسي) وهو غير عربي، وقال فيه:

(سلمان منا أهل البيت).

إن المبادئ والقيم، هي التي تتحقق في الإنسان وتترسخ، نعم.. الأرض نعتز بها، والأقربون أولى بالمعروف، قطعاً الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندما عاش مكة، وهي أم القرى، وأشرف المدن في الأرض، كان متعلقاً بها، ضاقت به مكة فاتسع له غار حراء، ثم ضاقت به اجتماعياً بعد أن انكشف أمره، تركها وغادر، وذهب الى المدينة، وتشرفت به المدينة، ووقف على أطلال مكة، وبكى كما تقول الرواية، ونزل عليه الأمين جبرائيل:

((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)).

يجب أن نعتز بمدننا بكل شرف.. بكل اعتزاز، خصوصاً المدن المقدسة، مدينة النجف، الى جانب مدينة كربلاء، ومدينة الكاظمية، ومدينة سامراء، وهذه ليست مدن تقتصر فقط على الانتماء النجفي، والكربلائي، والكاظمي، والسامرائي، بالمعنى الجغرافي، أي: انها ارض فحسب.

بل ان في المدن المقدسة هوية معنوية، مدينة النجف اليوم منفتحة على الآخرين، يؤمّها الناس في كل مناسبة، ويزورونها، ويجدون في قلوب النجفيين سعة لهم، لذلك يأخذ المجتمع النجفي حالة موجية يصعد، وينزل، وهذه فرصة أن يأم الناس النجف، ليتعرفوا على أخلاق اهلها وكرمهم، ونبلهم، وكل ما فيهم من صفات رائعة، ويطلعون على مدنهم، وعلى الثقافات الموجودة، وكذلك مدينتي كربلاء والكاظمية.

ان يعتز الإنسان بمدينته فهذا شرف له، لكن ينبغي ان ينظر لها من خلال القيم والمبادئ، الشيء نفسه بالنسبة لبقية المدن، طبيعة المجتمعات في المدن المقدسة، عادة ما تكون مجتمعات متعددة التكوين، وليست أحادية التكوين، تعوّد النجفيون كما تعود الكربلائيون، والكاظميون أن يروا الآخر يتجوّل في الطرقات، وفي الأسواق، اعتادوا عليه، هذا إيراني، وهذا باكستاني، وهذا من البحرين والإمارات، اعتادوا ذلك، لذلك لديهم ثقافة، ولديهم سعة بالتعامل، فالنجفي لا يحتاج ان يقرأ عن هؤلاء لأنه يلتقيهم دائماً في الأزقة، ويتعامل معهم في المكاسب، كالفنادق والمطاعم والاسواق، وهذه من إحدى ميزات هذه المدن، ونحن نتشرف.

لقد حاول البعض أن يشيع ثقافة التناحر المناطقي في وقت ما، هؤلاء أهل مدينة، وهؤلاء أهل مدينة أخرى، ما هو الفرق بينهما؟ ما هو الفرق؟ لا يوجد فقيه أفتى

بحرمة (لاسمح الله)، أو بكراهة الزواج من هذه المنطقة، أو الزواج من امرأة من منطقة أخرى، ليس هناك فرق عندما نهتدي إلى الأحكام الشرعية، ففيها فرق كبير عن العادات، والتقاليد حيث سنجد أن هناك شيئاً آخر. المطلوب منا من الآن فصاعداً... أن ننشئ قاعدة اجتماعية عريضة، متماسكة، متحابة ومتوادة، هذه القاعدة الاجتماعية هي التي تفرز البنى الفوقية، وهذه هي نظرية القرآن:

((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)).

هذه النظرية التي طرحها السيد الصدر في إحدى محاضراته، عندما عبّر عن العلاقة بين البنية الفوقية في الدولة، وبين القاعدة المجتمعية، لذا يجب أن نبني البنية الاجتماعية التحتية بناءً صحيحاً، عندئذ.... فليكن من المسؤول من أية جهة كانت؛ لأنك بدأت من البيت، وبدأت من المدرسة، وبدأت من ديوان العشيرة، وبدأت من إعلامك الخاص، وصمّمت أسرة أخذت تتحوّل إلى معمل لرجال صالحين، ونساء صالحات، من هنا يبدأ فعلاً إنشاء معمل المجتمع، وبناء القاعدة للدولة الجديدة، وهذا هو الشيء الطبيعي.

هذه الحقائق بدأت الآن كل دول العالم ترضخ لها، وهذه نظرية القرآن الكريم، نعم.. قد لا يستشهدون بالقرآن، لكن يعملون به، (جون آدمز)، كان رئيساً في أمريكا، بعد (جورج واشنطن) حيث جاء إلى رئاسة الجمهورية، وقال كلمته المعروفة:(ما كان لاميركا أن تتحرر من الاحتلال البريطاني إلا بعد أن تتحرر بعقلها وما تفكر، وبقلبها وما تشعر به).

كما يقول القرآن الكريم:

((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)).

لذلك على الإنسان الواعي والمتعلم أن يُعيد النظر بسلوكه، وإلا فلا قيمة لإنسان يحمل علماً، لكنه يتصرف خلاف الحقائق العلمية.

السيد الصدر (رضوان الله تعالى عنه)، كان يتناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل، ويقدم لها علاجات، وحتى نظريته التي وضعها للدعوة الإسلامية، والتغيير على هذا الأساس... التغيير بالثقافة.. التغيير بالسياسة.. التغيير بالحكم.. التغيير بمراقبة الحكم، هكذا كان يتعامل، لذلك ما رأى من المصلحة أن يبقى في حزب الدعوة كحزب، كان يحمل فكر الدعوة، وعندما اتخذ بحقه القرار الجائر بالاعدام، لم يكن منظماً لحزب الدعوة كتنظيم، رغم انه هو من أسّسه. الفكر ليس حكراً لأحد، وليس ملكاً لأحد.. الفكر يتسع لكل أصحاب القيم، أرجو أن لا نضيق ذرعاً عندما نجد

تعدداً بالكيانات الموجودة، هذا من الفضيلة، وهذا من الصدريين، وهذا من الدعوة، وهذا من بدر، وهذا من المجلس، وهذا من المستقلين، وآسف إن نسيت الآخرين.

لماذا نتأذى من التعدد، وهذه قاعدة قرآنية كريمة:

((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)).

كل من لديه فكر، ويستطيع أن يخدم البلد، أهلاً به وسهلاً ومرحباً، وكل من لديه نظرية اقتصادية صحيحة أهلاً وسهلاً، لدينا دستور، ولدينا قانون، وهذا الشعب، وبين فترة وأخرى ينتخب، وتتدور التجربة.. فيجب أن نخرج.. يجب أن نسهم.. يجب أن يحضر المجتمع في كل فصول البناء، ويتعاطى مع الموجودين.. وان لا يضيق ذرعاً بهم، وحضور مجتمعنا في فصول الانتخابات، والبحث عن الأفضل، وعلى الاكثر امانة، والأكفأ، وهذا ما سيعالج حالة الفساد.

من سيأتي إلى المسؤولية يقع على عاتقه الانتقال بالعراق نحو التكامل، فالأمانة ثقيلة، والتحديات كبيرة، والأهداف لاتزال الآن معطلة، وتتطلب أن نجنّد لها خيرة أبنائنا، نحن نبحث عن أفضل الإمكانيات العلمية، وأفضل الأطباء الذين يستطيعون أن يحدّو من هذه الظاهرة أو تلك، فالبلد حينما يتعرّض لوباء مَرضيّ يحتاج أقوى الأطباء، وعندما يتعرض إلى أوبئة اقتصادية، أو زراعية، أو قضائية يحتاج إلى أكثر من عالم، لماذا نتقبل الطبيب الأكفأ في الحقل المرضيّ، وإن كان من أي حزب، ولا نتقبل السياسي الأكفأ اذا لم يكن من الحزب، أو التيار الذي ننتمي إليه. يجب أن نبحث عن أكفأ ما لدينا من شبابنا، وشاباتنا وهم كثر، الحمد لله.... العراق زاخر بقابلياته وبإمكانياته، لكن دعونا نطبق موازين العدالة، ونبحث عن الأكفأ.

أتفهم ان الاستعراض الموجود في الانتخابات، هو إما أن تؤيد أو لا تؤيد.. اذهب، وصوّت لمن تؤيده، أما ان تمتد يدك لتمزيق، أو تشويه صور الاخرين، وبث دعايات ضدهم؛ فهذا قتل بمفهوم القرآن الكريم، هذه ثقافة ضيقة، وليس حضارياً تمزيق الصور والدعايات الانتخابية.

نحن نحتاج من يرعى الفقير.. يطرق بابه، ويرعى الآخر من المذاهب الأخرى، ومن الديانات الأخرى، يذهب إلى بيته، ويعطيه حقه؛ لذا يجب أن نثقّف على أن من مستلزمات المسؤولية هي الأمانة، لأننا نعلم أن المسؤولية فيها إغراء، وهي ليست مسألة ترتيب كلمات.

توجد مواسم انتخابية تفرز الإنسان، وتأتي بمرور الزمن بالأقوى، والأكفأ، وهذا ما يجب أن نفرزه، هذه أمانة، نحن نؤدي شهادتنا على من ثبت بالتجربة أنه امين

وكفأ، العراق في مرحلة التأسيس، وهذه المرحلة تعني أن مؤسساتنا الدستورية لم تستقر بعد، وفي حالة إرهاصات مستمرة، لذا فنحتاج الى وعي، ونحتاج إلى فهم، وتلك هي الأمانة القرآنية:

((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ)).

ما نحتاجه في البلد، هو أن يمسك زمامه أناس أكفاء؛ حتى يفجّروا هذه الطاقات، ويعالجوا هذه الظواهر.. ماذا نفعل في الأيام القليلة المقبلة، هذا ليس موسماً أسبوعياً، صحيح أن الانتخابات ستنتهي بعد أسبوع، لكن هذه ليست قضية موسم عادي... قضية أسبوع أو أسبوعين.. بل هي أربع سنوات سنرهن بها البلد، من هذا الأمين الذي سنضع عليه المسؤولية، ونقول له: اذهب من هنا إلى أربع سنوات واستمر في دورك، ونحن مستعدون معك، من هذا؟ هذا الذي نخاطبه، لا يكون الأكثر صوراً، او الأكثر صياحاً، بل من خبرناه بالتجربة.. مَن صفته الإحسان للآخرين، وهذا السر في القرآن الكريم الذي يودعه لنا، في الكثير من الآيات، وأستحضر الآن في سورة العنكبوت:

((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)).

الله يعلم، لكن يضع علامة به، بالتجربة.. بالفتنة، نسأل من كان كفوءاً، من كان أكفأ؟ ثم ترجعنا الآية الأخيرة، من سورة العنكبوت في 69 من السورة الشريفة:

((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)).

هذا الإنسان يريد أن يحسن، ويريد أن يبني البلد، ويريد أن يفجّر الطاقات، ويبحث عن الفقير، لذا يجب أن أعتمد معايير مناسبة لمن يشغل هذا الموقع، وأنظر على من تنطبق مواصفات الموقع، فأصوّت له، بناءً على فهمي لطبيعة المسؤولية.

من الظلم أن يبقى في العراق شيء اسمه الفقر، وهو بلد يملك مثل هكذا اقتصاد متعدد الموارد، فمن الظلم أن يبقى فيه فقر، هذه دول الجوار الجغرافي، ثرواتها الاقتصادية أقل منا، ومستواها الاقتصادي أعلى، ونحن ندعو لهم بالخير، الله يزيدهم بالخير، ويعمّمه على كل الناس، لكن لماذا نحن لا نصبح مثلهم، ما الذي يعني أن ثرواتنا أكثر، ومستوى معيشتنا أقل.

في العراق، نحتاج وقتاً للصعود، ويجب الآن أن نعجّل بذلك، فلا تمر علينا هذه المناسبات مروراً عابراً.. على كل واحد منا ان يجعل الله (تبارك وتعالى) أمام

عينيه، ويضع الناس الفقراء، والأيتام، والأرامل امامه، وان يستحضر هؤلاء دائما، ويعزم على إلغاء الفقر، وإزالة علامات الحزن عن وجوه الناس، لذا فلنبحث عن الإنسان الكفؤ الذي لديه منهج، ويريد أن يعمل، ويبني، ويرتقي بهذا البلد وأبنائه.

أختم حديثي بما بدأته مع السيد الصدر.. السيد الصدر (قدس الله نفسه الزكية)، ليس نقطة مقطوعة الجذور عن مبادئه وقيمه، وليست مقطوعة الأواصر، بل نقطة موصولة إلى حاضرنا.. يجب أن نعيش ذكرى السيد الصدر، ونحيي في هذه الذكرى قيمه ومبادئه.إن من جملة ما تميز به السيد الصدر (رضوان الله تعالى عنه)، نبؤاته الكثيرة التي كان يقولها، مثلما تنبأ للاتحاد السوفيتي بأنه ينتهي فانتهى، وتنبأ للاقتصاد الرأسمالي بأنه ينتهي إلى ما انتهى إليه الآن، كذلك كانت نبوءته عندما قال: (ما عُرضت علينا الدنيا كما عُرضت على هارون الرشيد) هذه المقولة الشريفة ما كانت قراءة تاريخية، إنما كانت نبوءة مستقبلية، أي أراد أن يقول: ستجدون في المستقبل، عندما يُعرَض الحكم، سيسقط من يسقط في أول جولة إغراء، وأول جولة جبن، وأول جولة تضليل، وأول جولة فتنة.

ببساطة... نحن نلعن الذي سبقنا، ويقول: (ما عُرضت علينا الدنيا كما عُرضت على هارون الرشيد)، أعتقد، أنه يجب أن نكون أوفياء لمبادئ الإسلام.. مبادئ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).. مبادئ أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، ومراجعنا، وبمناسبة السيد الصدر (رحمة الله عليه) الذي رحل من هذه الدنيا، وكلفنا بأن نحمي قيمه ومبادئه، يجب أن تسود العدالة في هذا البلد، ونستثمر هذه الفرص فرص الانتخابات؛ حتى نستطيع أن نقيم دعوة العدل الإنساني لعموم أبناء شعبنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...